

استقرار الأمن قبل تفاهات السياسة في ليبيا

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

سلكت البعثة الأممية في ليبيا مسار التفاهات السياسية بين القوى المتصارعة، ونجحت في جمع فرقاء في المغرب وسويسرا، ولم تعترض على اجتماعات تعقد في القاهرة تصب في الهدف نفسه، وحققت جميعها نجاحا دبلوماسيا ظاهرا بدرجات متفاوتة، ونأت عن مناقشة التفاصيل الأمنية المركزية. توجد ثلاث مدارس رئيسية لحل الأزمات المستعصية، الأولى ترى أن المدخل السياسي مناسب لتحقيق الأمن، والثانية تعتقد أن البعد الثالثي، أي ضمان أمن مسارات متوازنة، سياسية وأمنية واقتصادية، تغلب منهج لا يعني إلغاء الطرفين الآخرين تماما، أو تجاهل المحاور المهمة، ففي لحظة معينة تحدث تقاطعات حتمية، لكل منها مزايا وعيوب، يتوقف الاختيار على طبيعة الأزمة وأطرافها المختلفة، والقوى الفاعلة فيها، وحسابات الداخل والخارج، وانعكاسات الإقليمي والدولي، وما إلى ذلك من عوامل تلعب دورا في لب الأزمة.

حظيت هذه القضية بجدل كبير في ليبيا، وتراوحت تقديرات البعثة الأممية بين المدارس الثلاث، وخاض المبعوث السابق غسان سلامة معركة مع جهات تعلم حقيقة ما يجري في البلاد على الأرض، وحاول تبني المدخل السياسي كطريق يقوده للحل، وهي رؤية يتبناها التيار الإسلامي ومؤيدوه والمتعاطفون معه في ليبيا وخارجها. توقف النقاش حول هذه الإشكالية مع إطلاق مؤتمر برلين الدولي الخاص بالأزمة الليبية، في يناير الماضي، الذي أقر ثلاثة مسارات متوازنة، عسكرية وسياسية واقتصادية، وتم تشييدها فعلا ولم يسفر أي منها عن نتيجة ملموسة في الجولات التي عقدت حتى الآن، وكشفت جميعها عمق الفجوة وحاجتها لتنازلات كبيرة لجسرها. وعدت ستيفاني وليامز رئيسة البعثة الأممية بالإجابة بضحك الدماء في المسارات الثلاثة، والعودة إلى مخرجات برلين، لكن الضجيج الذي أحدثته المسار السياسي وتعدد الجهات المشاركة فيه وجد أصداء طيبة لديها، شجعتها على توفير المزيد من الدفع المعنوي، لتوحي بأن الأمور تحزن تقدما، ويمكن أن تحقق اختراقا على هذا المستوى.

بافتراض نجاح أحد الاجتماعات في إنجاز تفاهات بين من جلسوا على الطاولة من قوى متنافرة، بشأن توزيع السلطة وإنهاء العُقد التي كبلتها طويلا، ما هي الجهة التي تضمن التنفيذ على الأرض، وهل أن من تحاوروا في أي من المحطات العلنية يملكون قوى وإزنة في البلاد، وما هي الآليات التي تقود إلى التخلص من المتعضات الأمنية؟

تخز ليبيا بعيد من القوى العسكرية، والمليشيات، وأصحاب المصالح الاقتصادية، وكل منهم يريد الحفاظ على مكاسبه وتعظيمها، ولا تستطيع الأمم المتحدة، التي ترعى حوارات سياسية عدة أن تضمن تطبيق ما يترتب عنها في ظل التشابكات الراهنة.

هذا المقال ليس مهمته التفهيش في النوايا، لكن نظرة سريعة على ردود الفعل، خاصة بالنسبة لمفاوضات المغرب التي قطعت شوطا إيجابيا تشي بصعوبة الوثوق في ما احتوت عليه من تفاهات بشأن التسوية النهائية، لأن هناك قوى أعلنت رفضها مسبقا.

خلت المناقشات من التطرق لأهم عنصر في الأزمة، وهو الوجود التركي وتركته الثقيلة التي جلبها معه، والموقف النهائي من الألاف من المرتزقة والإرهابيين، لأن الوفد الممثل للمجلس الأعلى للدولة غير مخول أصلا بالبحث في هذه المسألة، التي تاه معها أيضا الحديث عن مصير الميليشيات، مع أنها تعد الجسم الأساسي في الأزمة، وتحطمت على أعقابها الكثير من المقاربات السابقة.

يبدو من يطربون لأولوية الحل السياسي كمن يضعون العربية أمام الحصان، ولا يلتفتون لما يسفر عنها تشكل النظام الدولي.



تنامي الدور الروسي في البحر الأبيض المتوسط

البحرية الأميركية واستباق استكمال صعود البحرية الصينية) وهو إذار لا سابق له ضد النفوذ الأميركي والغربي. ومن المنطقي الملاحظة أن التكتيك الأميركي التراجعي دفع لاحقا موسكو للتمدد أكثر مع زيادة هامش مناورتها نحو ليبيا في تطبيق إستراتيجية بوتن الذي لا يسعى بالضرورة إلى إعادة بناء الاتحاد السوفييتي السابق، لكنه يحاول إعادة بناء وتأكيد قدرة روسيا على فرض نفوذها خارج حدودها.

حسب وجهة نظر صناع القرار في موسكو يتيح المرور عبر الاستراتيجية نحو البحر الأبيض المتوسط الوصول إلى المحيط الهندي وحماية أمن الخارصة الجنوبية لروسيا، ويسمح التمرکز الروسي على هذا الخط بتأمين مواقع مثالية في مواجهة منظومة حلف شمال الأطلسي. ومما لا شك فيه أن تصاعد التوتر في شرق المتوسط يصب في طاحونة تنامي الدور الروسي نظرا للخلل ضمن الناتو تبعا للدور التركي والمبارزة بين فرنسا وتركيا وكذلك بين تركيا وغالبية دول جوارها.

ومن الواضح أن التوسيع بين الرئيسين الروسي والتركي انطلاقا من سوريا أنتج صلة خاصة بين موسكو وأنقرة، إلى حد أن تحويل متحف أيا صوفيا (الكنيسة الأرثوذكسية سابقا) إلى جامع لم تتعرض له موسكو زعيمة الأرثوذكسية بالنقد واعتبرته أمرا داخليا. والملاحظ كذلك أن الصلة لم تتأثر بسبب تمرکز الطرفين في معسكرين متقابلين في ليبيا وخسارة روسيا لرهانها الكبير هناك لم يؤد إلى تفاقم الأمور بين "السلطان الجديد" والقويص الجديد" لأن مشروعيهما الإمبراطوريين لا يتصادمان حكما، بل يهتمان أوروبا التي لم تبق قطبا اقتصاديا ولم تتحول إلى قطب إستراتيجي برغم المسعى الفرنسي لاستعادة الدور الأوروبي في البحر المتوسط.

لا تنتمي أراضي روسيا الشاسعة من قريب أو بعيد إلى الفضاء المتوسطي، لكن إقليم المتوسط كان مدار اهتمام موسكو منذ عهد القيصرية بسبب هدف الوصول للمياه الدافئة ولصلته بالبحر الجيوي الروسي جغرافيا وتاريخيا ودينيا، لكن لهذا الشريان أهمية استثنائية اليوم للتجارة الدولية ونقل الطاقة ولأنه المر نحو المحيط الأطلسي ومركز التنافس المستقبلي بين الولايات المتحدة الأميركية والصين وبعض الأوروبيين في سياق إعادة تشكل النظام الدولي.

رفيع المستوى، بحث لأفروف مع الرئيس بشار الأسد وتظيره وليد المعلم ملف "العملية السياسية" الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

خلال زيارته الأخيرة إلى سوريا على رأس وفد سياسي اقتصادي رفيع المستوى، بحث لأفروف مع الرئيس بشار الأسد وتظيره وليد المعلم ملف "العملية السياسية" الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

من خلال تعزيز حجمها الإستراتيجي في المتوسط وعلاقتها "الحوارية" مع تركيا تعمل موسكو على خلخلة الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

من خلال تعزيز حجمها الإستراتيجي في المتوسط وعلاقتها "الحوارية" مع تركيا تعمل موسكو على خلخلة الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

من خلال تعزيز حجمها الإستراتيجي في المتوسط وعلاقتها "الحوارية" مع تركيا تعمل موسكو على خلخلة الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

من خلال تعزيز حجمها الإستراتيجي في المتوسط وعلاقتها "الحوارية" مع تركيا تعمل موسكو على خلخلة الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

من خلال تعزيز حجمها الإستراتيجي في المتوسط وعلاقتها "الحوارية" مع تركيا تعمل موسكو على خلخلة الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

من خلال تعزيز حجمها الإستراتيجي في المتوسط وعلاقتها "الحوارية" مع تركيا تعمل موسكو على خلخلة الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

من خلال تعزيز حجمها الإستراتيجي في المتوسط وعلاقتها "الحوارية" مع تركيا تعمل موسكو على خلخلة الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

من خلال تعزيز حجمها الإستراتيجي في المتوسط وعلاقتها "الحوارية" مع تركيا تعمل موسكو على خلخلة الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

من خلال تعزيز حجمها الإستراتيجي في المتوسط وعلاقتها "الحوارية" مع تركيا تعمل موسكو على خلخلة الناتو وربما تطمح كذلك لكسب الجائزة الكبرى المتمثلة بالخط الاستراتيجي على الطريق نحو البحر الأسود، وحماية خاصرة جنوب القوقاز.

د. خطار أبو حادي
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك - باريس

عرضت روسيا وساطتها في نزاع شرق المتوسط الذي تخترط فيه تركيا في مواجهة عدة أطراف وخاصة قبرص واليونان. وجاء العرض إثر زيارة قام بها وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف إلى قبرص بداية الأسبوع بعد زيارة خاطفة إلى دمشق هي الأولى له منذ ثماني سنوات. وهذا النشاط الدبلوماسي يتزامن مع الإعلان عن مناورات عسكرية قريبة في المتوسط بين الأسطولين الروسي والتركي بالرغم من مواقف البلدين المتباعدة منذ ليبيا إلى سوريا.

ويأتي كل ذلك بينما يتأثر حلف شمال الأطلسي مليا بهذا النزاع ولا يتوصل الاتحاد الأوروبي لمجاعة موقف فرنسا الداعي لفرض خطوط حمراء أمام التمدد التركي. وأمام التراجع الأميركي في الحوض المتوسطي، يتنامى الدور الروسي في البحر الأبيض المتوسط وكان روسيا تحقق حلما راودها منذ القرن الثامن عشر وتصل للمياه الدافئة.. لكن احتدام نزاعات الطاقة والنفوذ من شرق المتوسط إلى ليبيا يزيد من حجم المتغيرات ويهز التوازنات الإستراتيجية.

إن هذا التمكن الروسي ليس ابن ساعته بل نتيجة مسار تصاعد مع عودة موسكو إلى الساحة الدولية. إذ بدأت رحلة الانقراض الروسي من التاريخ مع قرار الرئيس فلاديمير بوتين الانخراط في سوريا منذ 2011، ويتضح مع الوقت أن موسكو لا تكتفي بتسيخ وجودها في سوريا شرق المتوسط، بل أنها نجحت في التمرکز على الساحل الليبي جنوب البحر الأبيض المتوسط مرورا بعصر ووجود عسكري في قبرص. هكذا من التحكم بالورقة السورية إلى الدخول على خط الأزمة الليبية، ينقل القيصر الجديد أبحاره على رقعة شطرنج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وذلك على حساب اللاعبين الأوروبيين منتهزا استمرار إعادة التوضيح الأميركي إبان ولاية دونالد ترامب. وبالطبع

إن هذا التمكن الروسي ليس ابن ساعته بل نتيجة مسار تصاعد مع عودة موسكو إلى الساحة الدولية. إذ بدأت رحلة الانقراض الروسي من التاريخ مع قرار الرئيس فلاديمير بوتين الانخراط في سوريا منذ 2011، ويتضح مع الوقت أن موسكو لا تكتفي بتسيخ وجودها في سوريا شرق المتوسط، بل أنها نجحت في التمرکز على الساحل الليبي جنوب البحر الأبيض المتوسط مرورا بعصر ووجود عسكري في قبرص. هكذا من التحكم بالورقة السورية إلى الدخول على خط الأزمة الليبية، ينقل القيصر الجديد أبحاره على رقعة شطرنج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وذلك على حساب اللاعبين الأوروبيين منتهزا استمرار إعادة التوضيح الأميركي إبان ولاية دونالد ترامب. وبالطبع

